إستراتيجية المسلمين في فتح المغرب الأوسط

من إعداد: م م ش فاطمة الزهـراء حتحات
م و د ب ت ع ج/ ن ع 1

مقدمـــة :

حقق المسلمون في المشرق انتصارات باهرة على الفرس والروم (البيزنطيين)، وتوسعوا في مناطق عدة هناك ووصلوا إلى مصر بوابة الجهة الغربية، ولم يعد يفصل بينهم وبين إفريقيا البيزنطية الكثير، والواقع أن المسلمين لم يفكروا في الاجتياز إليها إلا بعد أن دعتهم الحاجة الأمنية إلى ذلك، فكان ولابد من استكشاف هذه المنطقة المجهولة لديهم لتأمين حدود مصر، ثم نشر الإسلام بها، فما هي استراتيجيتهم في فتح هذه المنطقة والتعامل مع سكانها المحليين وعلى الخصوص منطقة المغرب الأوسط؟

الخريطة السياسية لبلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي:

كانت بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي تحت حكم البيزنطين، وبذلك أُطلق عليها تسمية إفريقيا البيزنطية، وقسموها إداريا إلى سبع مقاطعات وهي كما يأتي:إفريقية البروقنصلية والتي تقع حاليا شمالي تونس، بيزاسينيا(المزاق) وهي الأجزاء الداخلية جنوبي تونس، نوميديا التي شملت تقريبا غربي تونس وشرقي الجزائر، موريطانيا السطايفية وموريطانيا القيصرية والتي امتدت من غربي بجاية إلى وادي الملوية، طرابلس من غربي برقة إلى قابس، وسردينيا[1]، وقد قامت عدة ثورات ضد هذا الاحتلال بالمنطقة، و ابتداء من أواخر القرن السادس الميلادي تراجع نفوذ الدولة البيزنطية ببلاد المغرب وتقلصت حدودها، و بالرغم من احتفاظها بالحصون القوية بشمالي الأوراس كبغاية، تيمقاد ولمبيز، إلا أنها فقدت سيطرتها على الأوراس والحضنة، كما تقلص نفوذها السياسي على المجتمع المسيحي في تلك الجهات خاصة ببلاد الزاب[2].

أفول البيزنطيين و بداية الفتح الإسلامي ببلاد المغرب :

وُصف القرن السابع والثامن الميلاديين بالعصر المظلم لبيزنطة حيث فقدت أجزاء كثيرة من أوروبا لصالح الغزاة السلاف والبلغار، في حين ضعفت سلطتها بإيطاليا، ناهيك عن اختراق العرب المسلمين للحدود القديمة التي كانت تفصل الإمبراطورية الفارسية والرومانية البيزنطية، ففتحوا شرق الأناضول، سوريا، فلسطين ومصر، ورغم محاولات الإمبراطور موريس(582-602) (Maurice) تنظيم الجيش، إلا أنه فشل ودخل الجيش البيزنطي في حرب أهلية، وتوالت الفتوحات الاسلامية بالشرق عقب وفاة موريس، ودب النزاع بين فوقاس (602-610)(Phocas)، وهرقل (610-641) (Heraclius)، وعندما انتهى الأمر لصالح هرقل حاول جاهدا استعادة قوة جيشه وتعبئته من جديد، إلا أن إصلاحاته لم تُجد نفعا[3].

زاد تأزم وضع الإمبراطورية البيزنطية بشكل عام بعد موت هرقل في641م، إذ تناوب على الحكم اثنان من الأباطرة في سنة واحدة، وكان الإمبراطور قسطنطين الثاني (Constans II) (641-681 م) صغيرا عندما تولى الحكم، ولم يكن قادرا على استرداد هيبة الإمبراطورية، التي هُزمت من قبل المسلمين وفقدت سوريا وفلسطين ومصر، يُضاف إليها العديد من الثورات التي قامت في أنحاء مختلفة من الإمبراطورية، وفي ظل هذه الظروف أعلن الحاكم البيزنطي بشمال إفريقيا «جرجير» انفصاله عن السلطة المركزية[4]، حيث ضرب السكة باسمه وكان سلطانه يمتد مابين طرابلس إلى طنجة[5]. وبهذا اهتزت دعائم السلطة البيزنطية وكان

دخول المسلمين إيذانا بأفول نجم البيزنطيين من المنطقة.

I- دخول المسلمين إلى بلاد المغرب:

يُعتبر عمرو بن العاص أول من فكر في العبور إلى البلاد الواقعة غرب مصر، وذلك لحماية حدودها من أي هجوم مباغت من قبل البيزنطيين بالمغرب، خاصة بعد ثبوت الاتصالات بين حاكم الإسكندرية وحاكم برقة وتعاونهما لأجل صد جيش المسلمين[6]، لذلك أرسل السرايا لجس النبض والتعرف على مجاهيل هذه المنطقة، وفي هذا المسعى بعث عقبة بن نافع إلى برقة و زويلة وما جاورهما من البلاد فصارت تحت ذمة الإسلام[7].

1- إرسال السرايا إلى بلاد المغرب (21-49 هـ/642-699 م):

توجه عمرو بنفسه إلى برقة، بعد أن أمَّن له الطريق عقبة بن نافع فصالح أهلها على الجزية وتوجه منها إلى طرابلس[8] بقيادة جيش من الفرسان سنة 23 هـ /644م[9]، و قد دافعت الحامية البيزنطية بطرابلس بقوة أمام العرب المسلمين ولقيت مساعدة قبائل نفوسة البربرية المسيحية في المناطق المجاورة، وهذا حفاظا على علاقتهم مع البيزنطيين في الساحل، ولحماية تجارتهم، وقد حُوصرت المدينة قرابة الشهر أو أكثر، ثم تمت السيطرة عليها بعد أن نجح العرب في العثور على ثغرة في أسوارها، ففرت الحامية البيزنطية إلى سفنها في البحر[10].

وقد أتاحت حيازة طرابلس للمسلمين على خط البحر المتوسط، فرصة التعرف على الحظوظ والمخاطر التي ينطوي عليها الإقدام على التقدم غربا، وأحرزوا تقدما مُهمًا مكّنهم من اتخاذها قاعدة لتحركاتهم القادمة.

بعد الاستحواذ على طرابلس رغب عمرو بن العاص في استئناف الفتح غربا باتجاه إفريقية، واستأذن بذلك الخليفة عمر بن الخطاب، فكتب إليه يخبره بأنه لم يبق مابين طرابلس وإفريقية سوى تسعة أيام[11]، كما أعطاه نظرة على أحوالها حسب ما أورده ابن عذارى «ملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل»[12]، وتصف هذه الرسالة الكثير عن حالة إفريقية وحكامها وعدد سكانها، وكذا وسائل دفاعهم ومقدار استعدادهم وما يتصفون به من الكثرة و القوة وركوب الخيل، مما يوحي بأن مواصلة الفتح تقتضي مددا جديدا[13].

إلاّ أنّ عمر بن الخطاب لم يأذن لعمرو بن العاص في مواصلة الفتح بسبب بعد المسافة، وكذا إعلام المقوقس حاكم الإسكندرية عمرو بن العاص بأن الروم يريدون نكث العهد ونقض ما كان بينهم وبينه[14]، فعمر لا يود المغامرة بجيشه.

وتبعا لهذه الظروف بقي عقبة بن نافع ببرقة يدعو للإسلام، و تمكن من كسب كثير من سكان البلاد وأصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين غرب مصر[15]. و صارت تُبعث منها السرايا لاستكشاف المنطقة حتى يسهل بعدها وضع إستراتيجية مناسبة لفتحها، تتلائم مع ظروف المنطقة وسكانها، لتعرف الفتوحات دفعا قويا في عهد الخليفة عثمان بن عفان الذي أجاز للقادة المسلمين بفتح إفريقية.

2- الحملات المنظمة:

عزل الخليفة عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر، وولاها عبد الله بن أبي سرح سنة 25هـ/645 م، وفي سنة 27هـ/ 647 م، أمره بغزو إفريقية[16]، فوُجهت أول حملة بجيوش منظمة من مصر إلى إفريقية في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، إذ تلقّى هذا الأخير مددا بقوات من الخليفة عثمان بن عفان معظمها من قبائل الحجاز ووجوه من أبناء الصحابة أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب، عاصم بن عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومعبد بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم[17]، كما تدعمّت هذه الجيوش بقوات إضافية من حامية الفسطاط فأصبح عددها حوالي عشرين ألف مقاتل[18].

فقد حث عثمان بن عفان الناس لغزوها وحشد لذلك جيشا كبيرا، ويقول في هذا الشأن بن عذارى: «**فخرج المسلمون في جيش عظيم وأعان المسلمين في هذه الغزوة بألف بعير يُحمل عليها ضعفاء الناس، وفتح بيوت السلاح التي كانت للمسلمين فلما توافى الناس جدُّوا السير، وأمرهم فعسكروا وقام فيهم خطيبا فوعظهم وذكّرهم وحرضهم على الجهاد، ثم خرج عبد الله من مصر في عشرين ألفا إلى إفريقية**»[19]، أما الجانب البيزنطي فقد كان تعداد جيشهم،

زهاء مائة وعشرين ألفا[20].

يتجلى بوضوح الفرق الشاسع في عدد الجيوش، إذ بلغ عدد البيزنطيين مائة وعشرون ألف مقابل عشرين ألف من المسلمين وهو العدد الذي يؤكده ابن عذارى بقوله واصفا المعركة: «**التقى عبد الله مع البطريق ضحى النهار في موضع يُعرف بسُبَيطُلة وكان جرجير في مائة وعشرين ألفا**[21]»، ورغم الفارق في العدد لصالح البيزنطيين إلا أن الرعب تملك جرير، وفي هذا الصدد يقول أيضا: «**فلما رأى جرجير خيل العرب اشتدَّ رعبه وأهمته نفسه فأخرج دَيدَبانه وصعد فيه يُشرف على العساكر ويرى القتال وأمر ابنته فصعدت الدَّيدبان، وسَفَّرت عن وجهها ... فقال لهم: وحقِ المسيح ودين النصرانية لئن قتل رجل منكم أمير العرب عبد الله بن سعد لأزوّجه ابنتي هذه، أعطيه ما معها من الجواري والنعمة وأنزّله المنزلة التي لا يطمع فيها أحد عندي**»[22].

يتبين مما أورده بن عذارى مدى خوف جرجير من المسلمين لدرجة عرض ابنته كإغراء للجنود وإثارة حماسهم للتغلب على المسلمين ووعدهم بالمال والمنزلة الحسنة، وكانت تعبئة نفسية لرفع معنويات الجند في هذا الظرف الحرج.

التقى الجمعان واستعر القتال واشتعلت نار الحرب والمسلمون قليل والمشركون في عشرين ومائة ألف[23]، ورغم قلة عدد جيش المسلمين إلا أنه تميز بما عُرفت به جيوش الفتح الإسلامي خلال القرن السابع الميلادي بالكفاءة والنظام وإيمان الفاتحين، وكانت غالبيتهم من خيرة الفرسان[24].

وبعد معركة فاصلة سنة (27هـ/647م) قرب سبيطلة، انهزم البيزنطيون وقُتل جرجير ودخل العرب المسلمون سبيطلة، وأُرسلت منها عدة حملات إلى المناطق المجاورة لقفصة، أما بقية الجيش فقد لاحقت الفارين وحاصروهم، حتى اضطر البيزنطيون إلى دفع فدية للعرب المسلمين، فوافق ابن أبي سرح على ذلك ورجع إلى مصر[25] وشغلوا بما كان من الفتن الإسلامية بالمشرق[26].

فاجأ انتصار المسلمين السكان المحليين بشمال إفريقيا وكذا أصحاب القرار بالقسطنطينية، إلا أن الإمبراطور قسطنطين الثاني الذي كان يبلغ من العمر السادسة عشر وخاضعا لكلمة مستشاريه وقادته، لم يكن بوسعه إرسال العون الفوري إلى إفريقيا، فمستشاروه فضلوا تركيز جهودهم للحفاظ على الأناضول عوض شمال إفريقيا[27]، وهذا منطقي لأن منطقة الأناضول كانت تحوم حولها المخاطر وهي الأقرب إلى مقر الإمبراطورية فوجب الذود عنها بكل ما أوتي الجيش من قوة، أما شمال افريقيا فهي بعيدة وإرسال جيش إليها في هذه الظروف الصعبة سيكلف الخزينة المال الكثير. بيد أن ضياعها بالمقابل سيكون خسارة للإمبراطورية ومكسبا للمسلمين، فمنها ستوجه الحملات الى الحوض الغربي للبحر المتوسط.

حقق المسلمون انتصارا باهرا على البيزنطيين في معركة سبيطلة، وبعد الهزيمة أدوا الفدية وهم صاغرون، ولكن المسلمين لم يواصلوا الفتح رغم ما أنجزوه، بل اكتفوا بالنصر والفدية وعادوا أدراجهم فما هو السبب؟

يبدو أن عبد الله بن أبي سرح كان يخشي من استرجاع البيزنطيين لقوتهم ،كما أن معركة سبيطلة لم تفتح الأبواب للعرب لتحرير تونس أي مقاطعات بيزاسينيا وافريقية البروقنصلية، ولتحقيق ذلك كان عليهم اخضاع قرطاج وكثيرا من الحصون البيزنطية القوية على الساحل، وكان ابن أبي سرح يدرك جيدا بأن جيشه لا يكفي لهذه المهمة الصعبة التي تتطلب قوة بحرية[28]، فرجع المسلمون إلى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الإسلامية[29].

وبعد انسحاب عبد الله بن أبي سرح إلى مصر لم تقع أي اشتباكات مباشرة للمسلمين مع القوى البيزنطية في البر ما يقارب ثلاثة عشر عاما، وبدأ بن أبي سرح بتركيز جهوده لبناء الأسطول من أجل إنهاء سيطرة البيزنطيين على البحر[30].

وقد ظهرت إستراتيجية المسلمين في خوض هذه المعركة، حيث اقترب المسلمون بقيادة عبد الله بن أبي سرح إلى حد كبير من مركز تونس من جهة الساحل، لكنهم لم يغيروا من الداخل عبر قفصة، فمن الخطورة القتال بالقرب من الساحل لوجود القوة البحرية البيزنطية بالقرب منها، فكان المسلمون بحاجة إلى اشتباك مع العدو في الداخل[31]، وهذا ما يبين مدى كفاءة وفطنة قادة المسلمين في التخطيط

للمعارك ليضمنوا الانتصار أو يتكبدوا الهزيمة بخسارة أقل.

بعد انتصار المسلمين تابع عبد الله بن أبي سرح سيره حتى وصل إلى باب مدينة جرجير العظمى «قرطاجنة» فحاصرها حصارا شديدا حتى فُتحت[32]، وبعدها توقفت الفتوح بسبب فتنة مقتل عثمان بن عفان وما أعقبها من حرب أهلية، فلما انتهت الفتنة وخلصت الخلافة لمعاوية عاود المسلمون غزوهم.

3- تجدد الفتوحات ببلاد المغرب وانشاء قاعدة لتثبيت الفتح:

ابتدأ معاوية بن أبي سفيان الذي تسلم الخلافة سنة 41هـ/661م موجة جديدة من الفتوحات، حيث كلف عمرو بن العاص بولاية مصر للمرة الثانية، فباشر هذا الأخير بإرسال الحملات إلى بلاد المغرب[33].

أ- حملة معاوية بن حديج (45هـ /665 م)

خرج معاوية بن حديج من مصر سنة 45هـ/ 665م ومعه عبد الله بن عمر وابن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين، وأشراف من جند مصر، فقدم إلى إفريقية في عشرة ألاف، فنزل قمونية[34] وواجه هناك البيزنطيين فهزمهم وافتتح سوسة وبنزرت وظهر الإسلام في البربر ثم عاد إلى مصر[35].

تميزت مجهودات المسلمين العرب الحربية في إفريقية منذ عهد عمرو بن العاص إلى معاوية بن حديج بالكشف والتعرف على الإقليم دون الإيغال في أراضيه، ثم العودة السريعة إلى برقة أو إلى الفسطاط ، بسبب عدم وجود معقل حصين يلتجئون إليه بعد انتهاء أعمالهم لاستجماع قواهم[36]. ومن ثمة كانت فكرة إنشاء قاعدة بالمغرب أمرا ضروريا.

ب- حملة عقبة الأولى بإفريقية وإنشاء قاعدة عسكرية بها

تم اختيار عقبة بن نافع لقيادة الجيوش الإسلامية في فتح إفريقية لأنه يعرف المنطقة، فقد عاش قريبا منها منذ الحملة الأولى على المغرب، وشارك في فتحها وتولى أمر برقة منذ فتحها المسلمون فكان خير داعية للإسلام، فقام بتأمين الأماكن الداخلية [37]، ثم غزى إفريقية في عشرة ألف من المسلمين وافتتحها[38]، وقد رأى ضرورة إنشاء قاعدة للمسلمين هناك لتثبيت تواجدهم وتسهيل عملية الفتح ودعوة أهلها للإسلام، إذ جاء على لسانه على حسب ما أورده ابن عذارى:« **إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى أخر الدهر**»[39].

كان عقبة قائدا محنكا ذو خبرة عسكرية وصاحب عقل راجح، يستشير أصاحبه، وكان اختياره لموضع بناء قاعدة للمسلمين بالقيروان استراتيجيا، إذ امتنع عن تقريبها من البحر خوفا من أساطيل البيزنطيين، حيث قالوا :«**نقرب من البحر ليتم لنا الرباط**» فقال عقبة:«**إني أخاف ؟أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يُوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون**»...قال :»**قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل، وهي التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا من الأول فالأول، وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى**» [40].

يعتبر إنشاء القيروان عملا استراتيجيا يرمي إلى إقامة قاعدة للعرب المسلمين في قلب البلاد التي تمت السيطرة عليها، لتكون معسكرا للجند ومستودعا للأسلحة، وحامية ثابتة تتكفل بعمليات الهجوم في أطراف المغرب وتؤمن الخطوط الدفاعية للمسلمين، وتساهم في نشر دين الإسلام بين البربر[41].

اختطَّ عقبة القيروان سنة 50 هـ/671 م وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم، وكان يغزو ويبعث السرايا للإغارة، ودخل أكثر البربر في الإسلام حتى تم عزله من قبل الخليفة معاوية[42]. وبهذا تثبتت أقدام المسلمين بالمغرب بعد أن صارت لهم قاعدة هناك، وتواصلت الفتوحات لتشمل كامل بلاد المغرب، الأدنى والأوسط والأقصى.

II- توغل المسلمين إلى المغرب الأوسط:

1- المجال الجغرافي للمغرب الأوسط:

أُطلق في العصر القديم على النطاق الممتد من غرب مصر إلى البحر الكبير اسم ليبيا وسكانه الليبيون، وعقب الحرب البونية الثالثة (146-149ق.م.) ظهر المصطلح الإداري إفريقية البروقنصلية للدلالة على المناطق التابعة للقرطاجيين، ونوميديا للدلالة على المنطقة المتوسطة التي تليها، وكذا موريطانيا للدلالة على المنطقة الغربية[43].

أما الجغرافيون العرب فقد قسموا المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقاليم هي المغرب الأدنى أو إفريقية(تونس)، المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى[44].

ولم يكن مصطلح المغرب الأوسط متداولا قبل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إلى أن جاء البكري(ت487هـ/1094م) وذكر في مسالكه أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ليضيف الإدريسي (ت558هـ/1158م) بأن بجاية في زمانه هي مدينة المغرب الأوسط، وهي عين بلاد بني حماد، وأن مدينة تلمسان هي قفل بلاد المغرب، وحدد المراكشي عبد الواحد (ت685هـ/1287م) الحدود الشرقية للمغرب الأوسط بمدينة بونة التي كانت حد بلاد إفريقية[45]، في حين امتدت حدوده الجنوبية إلى ورجلان والصحراء في عهد بني حماد[46].

ويكاد يُجمع المؤرخون والجغرافيون ويتفقون على الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط على الرغم من حركة القبائل المستمرة، مما يجعل الحدود بين الدول بين مد وجز بسبب حالة القوة والضعف للدول المتعاقبة على المغرب الأوسط [47].

2- قبائل المغرب الأوسط:

ظهر مصطلح البربر عوض الألقاب والأسماء التي كانت تُطلق على نفس القوم قبل الفتح الإسلامي، حيث اندثر لفظ «الليبو» أو «النوميد» أو «المور» أو «الغرامنت»أو «الجيتول» في الروايات العربية، وعَوَّضَ لفظُ «البربر» لفظَ «المور» الذي كان شائع الاستعمال في الفترة المتأخرة من العصور القديمة [48].

ولم يظهر في النقوش أو النصوص المعاصرة للرومان أو البيزنطيين لفظ «البربر» وما وجد من ألفاظ مشابهة مثل (Barbars) الدالة على الهمجية، حيث كثر وصف قبائل لواتة ببرقة بهذا اللفظ، وهي القبائل التي مارست ضغطا شديدا على الأقاليم الجنوبية[49]. في حين ذكر ابن خلدون أن البربر سموا بذلك لكثرة بربرتهم والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة[50].

وقد قُسموا إلى جذمان عظيمان وهما البتر والبرانس، حيث تشمل شعوب البرانس سبعة أجذام هي: ازداجة، مصمودة، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة و أوريغة وكذا لمطة، هكسورة و كزولة. في حين ضمت شعوب البتر أربعة أجذام وهم: أداسة، نفوسة، ضريسة و بنو لوا الأكبر وهذه الأخيرة منها بطنان عظيمان هما نفزاوة و لواتة[51].

يغلب على البرانس الاستقرار في القرى الساحلية والتلية والجبلية للزراعة وتربية المواشي في حين يغلب على البتر طابع البداوة ويمارسون الرعي[52].

أما القبائل التي استوطنت المغرب الأوسط فهي زناتة بفروعها إذ يقول ابن خلدون أن المغرب الأوسط هو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن، ويضيف أيضا بأن قبائل زواوة، كتامة، عجيسة وهوارة تتواجد ببلاد بجاية وقسنطينة[53] والتي استقرت في الإقليم الواقع مابين الزاب شرقا ونهر ملوية غربا، وهي حدود ثابتة تقريبا من الغرب لم تتغير إلا في بعض الأوقات[54]. وكانت جبال الأوراس موطنا لقبائل أوربة، جراوة وهي من أكبر فروع زناتة[55].

أهم القبائل المتواجدة بالمغرب الأوسط (موسى لقبال، المرجع السابق، ص 204)

3- توغل أبو المهاجر دينار إلى المغرب الأوسط ومقاومة البربر للفاتحين:

يعتبر أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري أول قائد سار بجيشه إلى المغرب الأوسط فاتحا، فهو أول مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط[56].

وقد حاول أبو المهاجر استمالة البربر خاصة وأن المنطقة شهدت في الفترة القديمة عدة ثورات وانتفاضات ضد المحتلين لأراضيها على غرار الاحتلال الروماني، الوندالي والبيزنطي، وآخرها كان في فترة ما قبل الفتح الإسلامي إبّان حكم البيزنطيين، حيث استقلت بعض الإمارات المحلية، فكان من الطبيعي لسكانها عدم الخضوع للوافدين الجدد وحمل لواء المقاومة مجددا وهذا قبل أن يحدث الإسلام تقاربا وتآلفا بينهم فيما بعد.

ولعل أهم قبيلة وقفت في وجه الفاتحين هي أوربة من فرع البرانس، بزعامة كسيلة بن لمزم[57] في ولاية أبي المهاجر دينار ، حيث حشد كسيلة القوات لمجابهة المسلمين في حين زحف إليه أبو المهاجر، والتقى الجمعان عند عيون تلمسان فهُزم البربر واستبقى أبو المهاجر كسيلة بعد أن أسلم[58] وتبع إسلامه إسلام قبيلته، التي كانت من أقوى فروع البرانس، والتي توزعت بطونها بين منطقة الأوراس والريف[59].

اعتُبر إسلام كسيلة وقبيلته مكسبا كبيرا ،أحرزته سياسة أبي المهاجر التي اتسمت باللين في التعامل مع بربر المنطقة ومحاولة كسبهم إلى صفه، ويندرج هذا ضمن إستراتيجيته في الفتح، فمنذ عزل عُقبة بن نافع عن إفريقية سنة 55 هـ/674 م وتوليته مكانه كره أن ينزل الموضع الذي اختطه عقبة ومضى حتى خلفه بميلين مما يلي طريق تونس فاختط بها مدينته[60]، فأقام بذلك قاعدة جديدة وسط مضارب البربر وبمساعدتهم ، وعمل على التقرب من سكان المنطقة وكسبهم وإدخالهم للإسلام والتحالف معهم ضد البيزنطيين[61]، ويقول المالكي أن أبا المهاجر صالح بربر إفريقية وفيهم كسيلة الأوربي وأحسن إليه وصالح عجم إفريقية وخرج بجيوشه نحو المغرب ففتح كل ما مر عليه حتى انتهى إلى العيون المعروفة «بأبي المهاجر» نحو تلمسان[62]، وبذلك خلّد أبو المهاجر دينار حملته في المغرب الأوسط بحفر عيون ومنابع قرب تلمسان عُرفت بعيون أبي المهاجر[63].

أدرك أبو المهاجر بأن قوة المسلمين في مصر محدودة وغير كافية للسيطرة على كامل بلاد المغرب، لذلك عمل على ربط علاقات طيبة مع البربر ليتعاونوا معه[64]، أو على الأقل إن لم يتعاونوا معه ضد البيزنطيين يضمن عدم مهاجمتهم له، وبهذه العلاقة أرسى قواعد ثابتة في التعامل السلمي مع القبائل وهيئت لقواته فرصة[65] استكمال فتح المغرب الأوسط وبلاد المغرب ككل.

كان لأبي المهاجر خبرة في الحروب وإستراتيجية في ذلك، فقد طبق مبادئ الحصار والمباغتة وتحشيد القوة والإلتفاف والمرونة وتأمين طرق المواصلات، واختيار المقصد وإدامته، وقد عانى أبو المهاجر من حروب الميدان حين التحم مع جموع البربر بتلمسان، مما استوجب التحلي بالشجاعة والإقدام والقابلية على اتخاذ القرارات السريعة الصائبة، والحرص على جمع المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة[66]، إلا أن مخططه في استكمال الفتح لم تكتمل لأنه عزل وعُين مكانه عقبة بن نافع مرة أخرى.

4- عقبة والبزنطيين والبربر بالمغرب الأوسط:

عاودت فصول مقاومة البربر للفاتحين المسلمين بالظهور وهذه المرة في ولاية عقبة بن نافع الثانية62 هـ/683م، الذي واصل هو الآخر فتح المغرب الأوسط، فبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان تولى الخلافة ابنه يزيدا، فرد عقبة واليا على إفريقية[67] فعاد عقبة ورد الناس إلى القيروان واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي، ثم مضى بجيشه يستفتح البلدان ويغزو في سبيل الله[68]، وكان لزاما عليه القضاء على كل من البيزنطيين والبربر في طريقه.

* البيزنطيين:

كان الجيش البيزنطي يعتمد على بناء التحصينات وأخذ موقف دفاعي[69]، ويلجأ إلى الاحتماء بالحصون لذلك لجأ إلى باغاية للتحصن بها، فتوجه عقبة بقواته إليهم وحاصرهم فخرجوا إليه في جمع كبير، فقاتلهم قتلا ذريعا وأخذ لهم خيلا كثيرة فلم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها، وكانت من نتاج جبل أوراس المطل عليها[70]، ثم ارتدوا إلى الحصن للاحتماء ولم يرغب عقبة إهدار وقته في محاصرتهم، بل فضل مواصلة فتح المناطق الأخرى، فمضى إلى مدينة المنستير وكانت في ذلك الزمان من أعظم مدائن الروم فلجأ إليها من كان حولها منهم وخرجوا إليه في عِدَّة وقوة فقاتلهم قتالا شديدا ،ثم مضى إلى إقليم الزاب[71] وعلى وادي قريب من مدينة أدنة عسكر عقبة بن نافع بجيشه وباتوا في حراسة ومراقبة حتى سمي ذلك الوادي -وادي سهر-، فقاتلهم في الصباح وهزمهم على قول ابن عذارى: « **وقتاله إياهم على وادي المسيلة فهزمهم وقتلهم وذهب عِزُّ الروم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر**»[72].

واصل عقبة طريقه في سبيل فتح ما تبقى من المغرب الأوسط، غير أنه هذه المرة فوجئ بجموع كبيرة من البربر والبيزنطيين المتحالفين، اعترضت غزوته لهم بتيهرت فيقول ابن عذارى، «**وقد اجتمع الروم والبربر في إقليم تيهرت اجتماعا عظيما**»[73] إذ استغاث الروم بالبربر فأجابوهم ونصروهم[74] فخطب عقبة الناس[75] ووعظهم ثم زحف إلى الكفار فالتحم الجمعان فولّى الكفار منهزمين فأباد فرسانهم[76] فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة فولى الروم هاربين ومات من البربر عدد عظيم [77].

يتجلى أن الخطب لها تأثير فعال في رفع معنويات الجيش فكثيرا ما أُلقيت على مسامع المقاتلين، خاصة المسلمين باعتبار أن قتال الكفار جهاد يثابون عليه فيدخلون المعركة دون وجل قصد اغتنام الشهادة.

واجه عقبة البيزنطيين والبربر ولم يستطع القضاء عليهم كليا لأنهم لجئوا إلى الحصون، فالقوات البيزنطية كانت تعتمد على الدفاع أكثر من الهجوم وذلك لتعويض النقص في عدد قواتها، وتحاشي الحرب في ساحة الميدان خوفا من ثقل الخسارة، فهي ترتد إلى القلاع والحصون حال شعورها بالهزيمة، وفي كل مرة كان عقبة يتجنب مواصلة حصار الفارين إلى الحصون، لأن في ذلك انهاكا لجنده ونفاذا لمؤونتهم وكذا ضياعا للوقت الواجب استغلاله في فتح مناطق أخرى.

قاتل عقبة البيزنطيين والبربر ووصل إلى طنجة[78]وسار حتى بلغ البحر المحيط، فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه ثم رفع يديه إلى السماء وقال: يارب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك»...ثم رجع عقبة قافلا إلى المغرب الأوسط[79].

حارب عقبة ومن معه على جبهتين مما أرهقه ذلك، على عكس أبي المهاجر دينار الذي كان قد كسب البربر

ليتفرغ للبيزنطيين، ورغم ذلك قضى على كل من وقف في طريقه لأنه يملك من الخبرة والقدرة العسكرية ما يواجه به أصعب الجيوش.

تمتع عقبة بصفات قيادية وتحلى بقدرات عسكرية جعلته صاحب نظرية في المبادئ الإستراتيجية، كمبدأ المباغتة وحشد القوات، والإقتصاد في المجهود والإلتفاف، والمحافظة على المعنويات وتأمين خطوط المواصلات، واستخدام القواعد الأمنية والاستطلاعية[80]، لكن وفي لحظة غدر لقي حتفه بعد أن تفرد به البيزنطيون والبربر وهم في عدد قليل.

5- نكبة تهودة

فتح عقبة عامة بلاد البربر إلى أن بلغ طنجة وبعد تلك الغزوات قفل راجعا إلى إفريقية[81]، واصطحب عقبة أثناء هذه الغزوات أبو المهاجر دينار وكسيلة وهما مكبلين، و لما وصل عقبة إلى مدينة طُبنة صرف أصحابه إلى القيروان عند قروبهم منها، وسار هو إلى مدينة تهودا لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان، فلما انتهى إليها مع بقية جنوده وكان عددهم قليلا بعث الروم إلى كسيلة بن لمزم[82] الذي كان قد فر من الأسر، حيث اغتنم هذه الفرصة للثأر من عقبة بسبب سوء معاملته له وهو زعيم أكبر قبيلة بالمغرب الأوسط[83].

باغت جيش كسيلة الذي ناهز عدده خمسين ألفا جيش عقبة البالغ خمسة ألاف، فترجلوا عن خيولهم وقاتلوا قتالا شديدا حتى بلغ منهم الجهد وكثر فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين[84]، وبعدها ملك كسيلة إفريقية خمس سنين ونزل القيروان وأعطى الأمان لمن بقي بها ممن تخلف من العرب وعظم سلطانه على البربر[85].

فتوحات عقبة بن نافع بالمغرب الأوسط

(رشيد بن عبد السلام العفالي، عقبة بن نافع الفهري (10هـ – 63هـ) فاتح المغرب، مركز عقبة بن نافع للدراسات والأبحاث، طنجة، 2012، ص 44)

كان لحادثة مقتل عقبة ومن معه أثر سلبي في نفوس من بقي بالقيروان فيقول المالكي أن زهير بن قيس البلوي حين بلغه ما جرى رعب رعبا شديدا وأراد الانصراف إلى مصر[86]، بيد أنه تراجع عن موقفه وامتنع عن جر الهزيمة من إفريقية إلى مصر وعزم على قتال البربر وزعيمهم كسيلة[87].

زحف زهير بن قيس البلوي في ولاية عبد الملك بن مروان للثأر بدم عقبة سنة سبع وستين وجمع له كسيلة سائر البربر ولقيه بجيش بنواحي القيروان، فاشتد القتال بين الفريقين وانهزم البربر وقتل كسيلة، وفي هذه الواقعة على حد قول ابن خلدون ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وخضت شوكتهم فلم يعد، وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفا شديدا فلجئوا إلى القلاع ،ثم ترهب زهير بعدها وقفل إلى المشرق فاستشهد ببرقة واضطرمت إفريقية نارا وافترق أمر البربر، وتعدد سلطانهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شأنا يومئذ الكاهنة[88].

6- حسان بن النعمان ومواجهة الكاهنة

لم تهدأ منطقة المغرب الأوسط بموت كسيلة بل اجتمع البربر بعده حول زعيمة قبيلة جراوة البترية «دهيا» المعروفة بالكاهنة، إذ كان لها وقومها بجبل أوراس من الملك والعز والكثرة قبل الإسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب[89].

وبالمقابل خلف حسان بن النعمان الغساني زهير بن قيس البلوي، وأرسله الخليفة عبد الملك بن مروان في

الفترة الواقعة مابين 68و79هـ/699-687م على رأس جيش مصر، ثم أمره بالتوجه إلى المغرب، وجنّد لذلك أربعين ألف مقاتل ولما وصل إلى طرابلس انضم إليه ما بقي من المسلمين هناك، وواصل طريقه إلى القيروان ومنها زحف على قرطاجة وهدمها فهرب الروم ولجئوا إلى بونة وباجة، وبهذا تمكن حسان من القضاء نهائيا على سلطة البيزنطيين في بلاد المغرب[90].

كانت إستراتيجية حسان هي عدم محاربة قوتين في وقت واحد بل القضاء على الأولى والتفرغ للثانية، فبعد تغلبه على البيزنطيين التفت لمحاربة قوة أخرى، ربما أكبر قوة وهي قبائل البربر البتر الذين التف حولهم كل البربر بعد مقتل كسيلة، وكانوا تحت إمرة امرأة تُعرف بالكاهنة[91]، فلما سمع حسان بسيرة هذه المرأة والقوة والسيادة التي تتربع عليها سعى للقضاء عليها حتى يتفرق شمل أتباعها، فعسكريا القضاء على القائد يعني كسب المعركة.

مراحل المواجهة

المرحلة الأولى

مر حسان و هو في طريقه إلى الكاهنة بقلعتها فوجد الروم متحصنين بها فانصرف عنهم، كما يذكر القيرواني فلما بلغ الكاهنة ذلك رحلت من جبل أوراس بعدد لا يُحصى فسبقته إلى مدينة باغاية، وأخرجت منها الروم وهدّمت حصنها وظنت أن حسان إنما يريد حصنها يتحصن فيه[92].

كانت خطة حسان هي المباغتة في الهجوم، أما الكاهنة فضّلت أسلوب المواجهة في الأرض المفتوحة ومنازلة خصومها بنفس سلاحهم بالسيوف والحراب والأقواس والسهام وعدم اللجوء إلى الحصون، وحسان هو الآخر لم يحتمِ بالقلاع بل زحف إليها[93]فالتقى بها عند نهر مسكيانة، وقيل إنهم باتوا وقوفا على سروجهم[94] وهنا دلالة على الخوف واليقظة التي كانت قاسما مشتركا بينهما ، فحسان لم يستهن بقوة الكاهنة وخاف من المباغتة ليلا ونفس الشيء بالنسبة للكاهنة، فبقي الطرفان يترقبان حتى الصباح.

اقتتل الطرفان في الصباح قتالا شديدا وانهزم المسلمون وقُتل منهم خلق كثير[95]، وانهزم جيش المسلمين في هذه المعركة «معركة وادي نيني» أمام استبسال الكاهنة في القتال، ثم انسحبوا إلى إقليم برقة[96]، فخرج المسلمون من إفريقية وأُسر منهم ثمانون رجلا، فأحسنت الكاهنة إليهم وأخلت سبيلهم إلا رجلا منهم يُقال له خالد بن يزيد فتبنته وأقام معها[97] وبعدها تراجع حسان إلى طرابلس، وأقام هناك وبنى قصوره وتعرف لهذا العهد به، ثم رجعت الكاهنة واتخذت قيسا ابنا لها بالرضاع مع ابنيها وظلت سلطتها على البربر خمس سنين[98].

يبدو أن انهزام المسلمين في هذه المعركة أمام الكاهنة لا يُعزى إلى سوء تدبيرهم أو قلة عددهم أو عدم تقديرهم لقوة الخصم، فحسان هيأ كل الظروف لهذه المعركة واستخبر عن أمر هذه المرأة القوية، وبالتالي هو يعي جيدا مدى قوة خصمه، فأعد لها ما استطاع من قوة، و حارب الطرفان تقريبا بنفس الأسلوب أي كان الطرفان متساويين في القوة، وربما نجحت الكاهنة بالانتصار عليهم بتغير أسلوب قتالها في مرحلة ما بالمعركة، ذلك أن البربر معروفون منذ القدم بتغيير أساليب القتال حسب ما تقتضيه ظروف المعركة، ويبقى سبب الهزيمة مجهولا في ظل سكوت المصادر عن ذلك.

المرحلة الثانية

استغل حسان فرصة تواجد خالد بن يزيد القيسي بديار الكاهنة وطلب منه التجسس على أخبارها وإعلامه بتحركاتها، فكتب خالد إلى حسان كتابا وجعله في خبزة ثم دفعها إلى الرسول ليخفي فيها الكتاب وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل[99]، وبهذا وجد حسان طريقة للتواصل سرا مع خالد بن يزيد القيسي وأوكل له مهمة استطلاع أخبار الكاهنة وتحذيرهم من أي هجوم مرتقب.

تقدم حسان لقتال الكاهنة بعدما رتّب أموره وارتاح الجند من المعركة الأولى معها، وزحف إليها عندما وصله المدد سنة 74هـ/ 693 م، فقامت الكاهنة بتخريب جميع المدن والضياع[100] و أوكلت لجنودها قطع الأشجار وهدم الحصون، وتخريب المدن ونهب الأموال حتى لا يبقى في

نظرها ما يجذب العرب من مدن وذهب وفضة[101] .

أتت سياسة القائد حسان بن النعمان القائمة على فهم عقلية البربر والتودد إليهم واحترام استقلالية قبائلهم بأُكُلها، إذ لقيت حملته ترحيبا بعد أن سئم البربر من سياسة الكاهنة بسبب ما نزل بهم من خراب[102] فجلبت سياستها سخط البربر الذين استأمنوا لحسان وأمنهم على حد قول ابن خلدون ووجد حسان في ذلك السبيل لتفريق أمرها[103]، خاصة وأن أتباعها انفضّوا من حولها، فضعف شأنها وتمكن منها ملحقا بها هزائم كبرى، وفي الأخير قتلها أواخر سنة 81هـ/82-700هـ/701م بجبال الأوراس، وبهذا تم فتح معظم المناطق بصفة نهائية وخمدت المقاومة في هذه البلاد بعد انتشار الأمن وانتظام الأمور، حيث نظم حسان شؤون البلاد وأقام الدواوين وضرب السكة وفرض الخراج على أهل الذمة، كما سوى بين العرب والبربر في الجند وأسند بعض المناصب المهمة إلى البربر، كما ضمهم إلى الجند وساهموا معه في الفتح، وفي أواخر سنة 85هـ/704م عُزل حسان ونُصِّبَ مكانه موسى بن نصير[104].

7- موسى بن نصير واستكمال فتح المغرب الأوسط

تولى موسى بن نصير المغرب سنة 85هـ /704 م بعد أن كلفه بذلك والي مصر عبد العزيز بن مروان، وأقر هذا التعيين الخليفة عبد الملك بن مروان، وتمثلت أعماله في الغارات المكثفة على المواقع التي لم تذعن[105].

وواصل موسى بن نصير الفتح في اتجاه المغرب الأوسط، فلم يتعرض لأية مقاومة بل صالحه أهل المدن وقدمت له قبائل البدو طاعتها، وأسلم الكثير منهم، ثم فتح المغرب الأقصى ولم تأت سنة 92هـ/711م حتى تم فتح المغربين الأوسط والأقصى[106]، وشارك البربر في هذه الفتوح بأعداد كبيرة وكان لهم فيها النصيب الأوفر، ففي بداية فتح الأندلس تشكلت القوة التي قادها طارق بن زياد من اثني عشر ألفا قبيل عبوره، جميعهم من البربر عدا بعض كبار الجند العرب وموالي الأمويين، مما يثبت تغلغل الإسلام في نفوس البربر، ومما لا شك فيه أن تطعيم الجيش العربي بعناصر من البربر يعرفون طبيعة الأرض ويتقنون أساليب حرب الجبال كان له نتائج إيجابية في استكمال فتح المغرب والأندلس[107].

كانت إستراتيجية الفاتحين تَنصَّبُ على التعرف على جغرافية بلاد المغرب عموما وذلك بإرسال الطلائع والسرايا لاستكشاف جغرافية المنطقة وطبيعة سكانها، فسهل هذا عليهم التعامل مع البربر وكسبهم إلى جانبهم، فقد ضمهم عقبة بن نافع للجيش بعد أن أسلموا وكذلك فعل حسان بن النعمان وموسى بن نصير و بذلك ساهموا معهم في فتح ما تبقى من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وصولا إلى الأندلس، وكانت إستراتيجيتهم هي كسب أكبر القبائل بالمغرب الأوسط إما قوة أو سلما، كقبيلة زناتة التي دخلت في وقت مبكر للإسلام مما دعم مكانة المسلمين العرب وسط البربر، ووقف الزناتيون إلى جانب الفاتحين ضد البيزنطيين بالمغرب الأوسط، وهو الأمر الذي حدث أيضا مع قبيلة أوربة التي تمكن أبو المهاجر دينار من استمالة زعيمها كسيلة بن لمزم حيث أسلم وأسلمت قبيلته من بعده .

كما أن إستراتيجية الفاتحين في التعامل مع البربر أعطت ثمارها خاصة في ولاية أبو المهاجر دينار الذي انتهج سياسة اللين مع زعيم قبيلة أوربة، وحسان بن النعمان الذي لقيت سياسته الرشيدة ارتياحا لدى بربر قبيلة جراوة، خاصة بعد سياسة الكاهنة التي أثارت سخط أتباعها عليها، ووجدوا في الإسلام والمسلمين رأفة أكثر منها، فضمهم حسان إلى الجيش وساوى بينهم وبين العرب.

وتجَّلت أيضا استراتيجية الفاتحين في إقامة القواعد العسكرية لتسهيل سير الفتوحات واتخاذها ملجئا يتحصنون بها ويشنون منها الغارات على مختلف مناطق بلاد المغرب ، والملاحظ أيضا أن قادة الفتح لم يخرجوا عن مشورة الخليفة والامتثال لأوامره، وبالمقابل كان الخليفة يمدهم بالإمدادات اللازمة التي لم تنقطع إلا في فترة الفتن التي كانت تعاني منها الخلافة في المشرق، وقد كان الفاتحون يملكون خط دفاع بمصر و خط هجوم بقاعدة القيروان يقومون بهجماتهم المدعمة بالجيش القادم من الشام ومصر ومعززا بالبربر الذين أسلموا والعارفين بتضاريس المنطقة جيدا.

خاتمـــــــــة

قضى المسلمون على البيزنطيين بالمغرب ولم يكن ذلك بالأمر العسير لأن المسلمين يعرفون خصمهم ولهم خبرة في التعامل معه في الحروب، ولكن الصعوبة تمثلت في محاربتهم على جبهتين: البيزنطيين وقبائل البربر معا، هذه الأخيرة تعاونت في مرات عدة مع البيزنطيين ضد الوافدين الجدد (المسلمين)، فالمسلمون اتبعوا إستراتيجية مدروسة في التعامل مع سكان المنطقة وطبيعة تضاريسها، وبعد أن عرف البربر السبب الحقيقي لمقدم المسلمين وهو نشر الإسلام وتعرفوا على سماحته فشرح الله صدرهم للإسلام، وقفوا معهم وحاربوا جنبا إلى جنب، فتم استكمال الفتح على يد موسى بن نصير ووصلت جيوش المسلمين إلى الأندلس عن طريق الفاتح طارق بن زياد وعرف المغرب والأندلس عهدا جديدا في رحاب الإسلام.

الهوامش:

1- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص.ص.41-42.

2- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج.02، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د.ت.ط.، ص.500.

3- أنظر:

David Nicolle, Romano-Byzantine armies 4th-9th centuries, Osprey publishing, london, 1992, p.13.

4- عبد الواحد ذنون ، المرجع السابق، ص64.

5- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج.02، تحقيق شارلز توري، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1999، ص.183.

6- جاء في فتوح الشام للواقدي ذكر لتلك المراسلة بين حاكم برقة وحاكم الإسكندرية إذ يقول هذا الأخير في الرسالة :»...وهؤلاء العرب قد استولوا على البلاد وأذّلوا بسيوفهم العباد...وأخذوا مصر منا وأخذوا ملكنا وحكموا على بلادنا بعدنا...والصواب أن نشمّر لهم عن الهمم وتنجدنا على من بغى وأجرم فنحن جيرانك وكلنا أعوانك والسلام.» أنظر : أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، فتوح الشام،ج.02، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، د.ت.ط.، ص.72.

7- محمد أبو راس بن أحمد بن الناصر المعسكري، الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة، تحقيق أحمد الطويلي، المطبعة العصرية، تونس، 2010، ص. 36.

8- ابن عذارى المَّراكُشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج.01، تحقيق : كولان و ليفي بروفنسال، ط.02، دارالثقافة، بيروت – لبنان، 1983، ص. 8.

9- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،1987، ص.134.

10- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص.96.

11- أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد اللّه أنيس الطبّاع، مؤسسة المعاف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان 1987م، ص.316.

12- ابن عذارى، المصدر السابق،ج.01،ص.08.

13- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988، ص.22.

14- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج.02، ص. 173.

15- محمد زيتون، المرجع السابق، ص.23.

16- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.08.

17- أنظر أسماء المشاركين لدى البلاذري، المصدر السابق، ص. 317.

18- خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، ط02، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986، ص.ص.37-38.

19- ابن عذارى، المصدر السابق،ج.01، ص.ص.08-09.

20- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج.06، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م، ص.141.

21- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.09.

22- ابن عذارى، نفس المصدر، ج.01، ص.ص.09-10.

23- نفسه.

24- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص.134.

25- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص.99.

26- ابن خلدون، المصدر السابق،ج.06، ص.141.

27- أنظر:

Kaegi Walter, Muslim expansion and byzantine collapse in north Africa, Cambridge University Press, Cambridge, 2015, p.146.

28- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق،ص.ص.99-100.

29- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص. 146.

30- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق،ص.ص.99-100.

31- أنظر:

Kaegi Walter,op.cit, p.130.

32- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.11.

33- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص.101.

34- هو حصن للروم البيزنطيين بالقيروان أنظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية و زُهَادهم ونُسّاكهم وسَير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج.02، تحقيق:بشير البكوش، ط.02، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان ،1994، ص.32.

35- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج.01، د.ت.ط.،د.م.ن.،ص36.

36- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص.28.

37- محمد زيتون، المرجع السابق، ص.24.

38- البلاذري، المصدر السابق، ص.320.

39- نفسه.

40- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.ص.19-20.

41- خالد جاسم الجنابي، المرجع السابق، ص.38.

42- السلاوي، المرجع السابق، ص.37.

43- موسى لقبال، المرجع السابق، ص.13.

44- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص.11.

45- عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ/13 و15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص التاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015م، ص.269.

46- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.12.

47- عبد العزيز فيلالي، نفس المرجع، ص.11.

48- شنيتي، المرجع السابق، ص.ص.495-496.

49- شنيتي، نفس المرجع، ص.497.

50- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.117.

51- ابن خلدون، نفس المصدر،ج.06، ص.117،118،119.

52- موسى لقبال، المرجع السابق، ص.17.

53- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.134.

54- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص.11.

55- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص51.

56- السلاوي، المرجع السابق، ج.01، ص.37.

57- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.142.

58- ابن خلدون، نفس المصدر، ج.06، ص.142.

59- موسى لقبال، المرجع السابق، ص.38.

60- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.22.

61- موسى لقبال، المرجع السابق، ص.36.

62- المالكي، المصدر السابق، ج.02، ص.33.

63- موسى لقبال، المرجع السابق، ص.38.

64- عبد الواحد ذنون، المرجع السابق، ص.113.

65- محمد سعيد رضا، **استراتيجية قادة العرب المسلمين في تحرير بلاد المغرب العربي من الاستعمار البيزنطي**، مجلة المورد، العدد02، العراق،2001، ص.23.

66- علي محمد الصلابي، الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص. 144، 145، 146.

67- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص.22.

68- ابن عذارى، نفس المصدر، ج.1، ص.ص.23-24.

69- أنظر:

David Nicolle, op.cit., p. 03.

70- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 24.

71-الزاب:اسمها مشتق من مدينة زابي جستنيانا(zabi) البيزنطية والتي كانت تقع بالقرب من مركز مدينة المسيلة الحالية، وكانت هذه المنطقة تمثل نوميديا وتتبع للحكم الروماني، تتميز بكثرة حصونها، من أهم مدنها سطيف (sitifis)، تيمقاد(Thamugadi) باغاي (Bagai) وبسكرة (Vescera)، لمعلومات أوسع أنظر: علي الهطاي، **الجغرافية التاريخية لبلاد الزّاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي: دراسة في تطور المجالات والمواقع**،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ العدد12، كلية الأداب والفنون والانسانيات منوبة تونس، ديسمبر 2017، ص.11.

72- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 24.

73- ابن عذارى، نفس المصدر، ج.1، ص. 25.

74- المالكي، المصدر السابق، ج.01، ص.37.

75- أنظر الخطاب في المالكي، نفسه.

76- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.1، ص. 25.

77- المالكي، المصدر السابق، ج.01، ص.37.

78- أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأسيدي الدبّاغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج.01، د.م.ط.، د.ت.ط.، ص.50.

79- الصلابي، المرجع السابق، ص. 139.

80- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.27.

81- نفسه.

82- ابن عذارى، نفس المصدر، ج.01، ص.ص.29-28.

83- لما قدم عقبة إلى إفريقية وعُزل أبو المهاجر عرّفه بحال كسيلة وأنه من ملوك البربر ولم يستحكم الإسلام بقلبه فاستخف به عقبة، وأتى عقبة يوما بذَودِ غنم فأمر بذبحها للعسكر وأمر كُسيلة أن يسلخ منها مع السلاخين، فقال كُسيلة:«أصلح الله الأمير هؤلاء فتياني وعبيدي يكفونني المونة :فقال عقبة:»لا»فقام كسيلة مغضبا فكان كلما دحس مسح بلحيته فجعل العرب يمرون به فيقولون:«يا بربري ما تصنع؟» فيقول:»هذا جيد للشعر» حتى مر به شيخ من العرب فقال لهم:«كلا أن البربري يتوعدكم»فقال أبو المهاجر لعقبة :»بئس ما صنعت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألّف جبابرة العرب وأنت تأتي إلى رجل جبار في قومه، في دار عزه، قريب العهد بالشرك فتهينه» السلاوي، المرجع السابق، ج01، .ص 39.

84- أجداث عقبه وأصحابه بمكانهم من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبورهم أسمنة ثم جصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم عقبة وهو في عداد المزارات، نفسه، ج01، .ص 39.

85- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص. 142.

86- المالكي، المصدر السابق، ج.01 ، ص.44.

87- ابن عذارى، المصدر السابق، ج.01، ص.30.

88- ابن خلدون، المصدر السابق، ص.ص.142-143.

89- ابن خلدون، نفس المصدر، ج.06، ص.135.

90- محمد بن عميرة، **موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني، الجزائر، 1986، ص.22.

91- هي دهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر ، ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.143.

92- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة،1994، ص. 46.

93- صالح بن قربة، **حملة حسان الأولى وسقوط قرطاجنة**، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص.ص.37-38.

94- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص. 47.

95- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.145.

96- صالح بن قربة، **حملة حسان الأولى وسقوط قرطاجنة**، ص.39.

97- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج.01، ص.270.

98- ابن خلدون، المصدر السابق، ج.06، ص.ص.-145 146.

99- نفسه.39.

100- ابن خلدون، نفس المصدر، ج.06، ص. 146.

101- بن عميرة ، المرجع السابق، ص.ص.23،24،39.

102- خالد جاسم الجنابي، المرجع السابق، ص.43.

103- ابن خلدون، المصدر السابق ج.06، ص.140.

104- مبخوت بودواية و معروف بلحاج، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة الديوان، الجزائر،2007، ص.ص.27-28.

105- خالد جاسم الجنابي، المرجع السابق، ص.39.

106- خالد جاسم الجنابي، نفس المرجع، ص.29.

107- خالد جاسم الجنابي، نفس المرجع، ص.44.